تعليقات القراء على الرسالة

الى الأستاذ الرافعى

للأستاذ على الطنطاوى

سيدى :

أعرنى هذا القلم السحرى الذى تكتب به . . . لأصف لك الشعور الذى خامرنى وإخوانى هنا ، حين قرأنا فصلك الأخير : قصة زواج . . . فما أدرى والله كيف أصفه لك

وقد والله قرأناه مثنى وثلاث ورباع ، وقد والله قطعنا القراءة مرة وثانية وثالثة ، لأننا لم نكن نملك نفوسنا أن تفلت من قيود المادة ، وتنفذ من بين السطور الى عالم أسمى وأوسع ، تطير فى أرجائه لتلحق بهذه البلاغة العلوية التى تسمو بتاليها وتسمو . . . حتى تدنو به من حدود العالم الكامل — عالم القرآن — وتريه تحقيق ما قاله فيها سعد « بطل المشرق » : كأنها تنزيل من التنزيل !

وقد والله خرجنا منها وكأننا لم نعرف عبد الملك أمير المؤمنين ، وسعيداً سيد التابعين ، إلا الساعة . . . فاذا أنت قد نقلت الملك والجلال من ذاك الى هذا ، واذا مقالة منك واحدة ، تغلب عبد الملك على جيوشه وأمواله وملكه ، ثم تجرده منها ، ثم تعرضه جداً هزيلاً ؛ وتمنح سعيداً على فقره وتواضعه ، أسمى العظمة والهيبة والجلال . . . حتى يقول هذا : « أنا . . . . . » فتردها ملائكة السماء . ويقول ذاك : « أنا » فتستحي أن تعيدها شياطين الجحيم !

وأقسم لقد سمعت هذه القصة وقرأتها ، وحفظتها ، وحدثت بها . وانحدرت بين أذنى ورأسى ولسانى عشرين مرة ، ثم كأنى لم أسمع بها إلا الآن . . . وكأنى كنت فيها فى ليل مظلم ، فطلعت على مقالتك شمساً ساطعة ؛ عرفت معها كيف تكون حُصَيَّات الليل لآلئ النهار . . . فما بالك بمن لم يسمع باسم سعيد ؟ وما بالك بمن لا يعرف فى الدنيا أدباً ، إلا الأدب الذى يسقط علينا من باريس أو لندن أو بونس ايرس ؛ ولا يدرى من البلاغة إلا أنها التى تلوح بين سطورها رءوس البنادق ، وأفواه المدافع ، وأجنحة الطيارات ؟

ومثل أولئك كثير ، فقد عابوك بالغموض ، ورموك بالابهام ، وادعوا أن كتبك لا تفهم ، ومعانيك لا تساغ ، فلما ظهر أن فى الغرب شاعراً خلاً مذهبه الغموض يتخذه ويدعو له ويدافع عنه ، أصبح الغموض فناً من فنون الأدب تُتمحل له الأسباب وتلتمس له الدواعى ! فما الذى جعل سيئة الرافعى حسنة بول ڤاليرى ، إلا أن ذاك من فرنسا وهذا من مصر ؟

أما إن هذا الايمان بالغرب اذا انتقل من الشيوخ الى الشبان لم يكن إلا كفراً بالشرق وإلحاداً بالعقائد الشرقية ، وجهلاً باللغة الشرقية ، وخروجاً من الجادة الشرقية . . . وإن عندنا فى دمشق ندوة أرادت أن تعيب مجمعنا الأدبى ، فلم تجد أبلغ فى العيب من قولها : إن المجمع ثقافته شرقية ، بل لقد (ضبطتنا متلبسين بالجريمة) ، وأشهدت علينا أننا كنا نحمل كتباً صفراء . وكان الذى نحمله « شرح المواقف للسيد » . ومثل هؤلاء لا يقرأون الأدب العربى إلا اذا صيغ هذه الصياغة

* * *

وعندنا أن هذه القصة بكل ما قرأنا فى العربية من قصص ما يزال أكثر أصحابها ينشئون أدباً فرنسياً أو انجليزياً بحروف عربية

وعندنا أنك إذا استكثرت من هذا النوع عطيت على خيام أهل الجديد ودورهم المبنية من الطين والقش ، بقصر شامخ من الصخر يثبت ما ثبت الدهر

وعندنا أن مائة قصة من مثل هذه القصة ، تنشىء الأدب العربى إنشاء جديداً ، وتخرج من الشيخ الهم الفانى ، الذى ينتظر الموت شاباً قوياً بهياً ، جاء يستأنف الحياة بحنكة الشيخوخة . وتجعل من الأدب العربى أدبين : أدب أربعة عشر قرناً ، وأدب الرافعى

* * *

ولست والله أمدحك لأتملقك وأتزلف إليك ، وما بى بحمد

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]